

محمد يوسف

تَمُوزِ يُولَدُ مِنْ جَدِيدٍ

منشورات تكوين | نبوءات
TAKWEEN PUBLISHING



تَمَوُزُ يَوْلَدُ

مِن جَدِيد

شَعْر

مَحْمَد يَوْسُف



الكاتب: محمد يوسف

عنوان الكتاب: تَمَوُزُ يَوْلَدُ مِن جَدِيد

تصميم الغلاف: يوسف العبدالله

تنضيد داخلي: سعيد البقاعي

ر.د.م.ك: 978-9921-9921-66-2

الطبعة الأولى - يوليو/ تموز - 2022

1000 نسخة

جميع الحقوق محفوظة للناشر ©



الكويت - الشويخ الصناعية الجديدة

تلفون: + 965 98 81 04 40

بغداد - شارع المتنبي، بناية الكاهجي

تلفون: + 964 78 11 00 58 60

✉ takween.publishing@gmail. 🌐 takweenkw

com

📺 takween_publishing

📺 TakweenPH

🌐 www.takweenkw.com

الإهداء

إلى أروى، القصيدة.

تَمَوُزُ يَوْلَدُ

في البَدءِ كان الحُبُّ.

نورٌ في العماءِ السرمديّ،

توهَّجٌ في ظُلْمَةٍ جوفاءٍ بارِدَةٍ

يُشعُّ وينشرُ الدَّفءَ انطلاقًا

من كِنائِيَّتِهِ إلى شكلِ الحقيقَةِ،

مرسلًا نحو العيونِ المغمضاتِ

على مخاوفها من الظلِّ البعيدِ

وراءَ نارِ الكهفِ، دِفئًا غامضًا.

لكن من مَسِّ السنا عينيهِ

يتبعُ حتفَهُ، يجتاحه شغفُ

ويرمي نفسَهُ في الضوءِ

مُحترقًا بحُلُمِ الجذوةِ البيضاءِ

تلتهمُ السكونَ

ويصطلي جَفناهُ من رؤيا

تُقَرَّبُهُ لَهَا،

تَمْتَصُّ رَوْحًا مَا اسْتَثَارَتْ قَبْلُ،

سَلَّمَهَا يَدَيْهِ،

وَمِنْ سَدِيمِ الْعَنْفَوَانِ

سَرَى دَوِيٍّ يَرِيكَ

الْعَبَثَ الْمَخَامِرَ لِلْمِيَاهِ وَفِيضِهَا

فَعَدَا نَدِيًّا، وَانْتَشَى حُبًّا

وَهَامَ بِرَحْمِهَا

طِفْلًا يُعَدُّ خُطَاهُ لِلتَّحْلِيْقِ

بَحْثًا عَنِ قَصِيْدَتِهِ

وَلَكِنَّ الْبَصِيْرَةَ لَمْ تَكُنْ تَكْفِي

لِخَلْقِ مَجَازِهِ.

«لَوْ كَانَ لِي جَسَدٌ

حَلَلْتُ بِهِ وَسَرْتُ إِلَيْكَ مِنْكَ

أَعِيدَ لِلتَّكْوِينِ نَشْوَةَ مَوْتِهِ

لَأَجْرِدَ الْمَعْنَى مِنَ التَّأْوِيلِ

أرسمهُ لأخلق منك نفسي

صورةً أخرى، ومرآةً لنوركِ

تُبصرُ الأسماءَ سِرِّكَ في تشكُّلها

لثُنْبِتٍ من عصيِّ الوعي

ذاكرةً الوجودِ،

ويعلمُ الأسماءَ والمعنى

ويبحرَ في متاهتِه الغريبِ».

كي تُدركَ الساعات موعدها

سيحملُ صخرةً

ويعودُ للجبلِ البعيدِ

يسيرُ في تُرْسِينِ

حتى يدفعَ الوقتَ

اشتياقًا للخلاصِ،

وكَلِّمًا ينأى ينوبُ.

فلتبدأِ الرؤيا بما آلت إليه

ويكملُ الصيرورة الأولى

إلى ميعادها الأزلي،
كان الحُبُّ روحًا، واستقرَّ به
ليُبَعَثَ نجمةً سقطتْ
من الغيبِ في الصحراءِ
فانتفض الغريبُ من المتاهةِ
أقبلت عيناه نحو الواقعيِّ
وغابَ في الرؤيا، وعاد
يلامسُ الألوانَ ملءَ جفونهِ
وتطيبُ رائحةُ الصلاةِ
على اللسانِ العِرِّ
حتى مسَّهُ الشُّعْرُ انخِطافًا
صرخةً في الغيبِ نادَتْ: «يا غريبُ أفق».
كأنَّ البرقَ يجلدُ مَنْ تأخرَ عن جنازتهِ
فكنثُ أنا، كأنَّ الحلمَ زالَ
وقد وُلِدْتُ مجددًا في هذه الصحراءِ
كنثُ هنا غريبًا

ناقتي عُقِرَتْ

وَقُطِّعَ الطَّرِيقُ تَخَلَّفُوا عَنِّي

لنقصِ كفاءتي في السطو،

لا ألفي غريبًا تائهاً مثلي

فأَسألُ عن مكاني في الخريطة،

ساعتي سبقت خُطاها

جئتُ قبل أواني الكوني

بحثًا عن بلادٍ لم تجيء بعدُ

استبقتُ كأنني طيرٌ

ترجّل من على عَشِّ الصغار

ليلحق السَّرْبَ المحلَّق من بعيدٍ

لم تخطَّ السطرَ أجنحتي

وما زالت سمائي في رحيلٍ دائمٍ،

وكانها قبرٌ يضكُّ على ضلوعي.

من أنا؟

في هذه الأرض الغريبة

تائه عما يُشكّلني

ولا حلمٌ لكي أتذكّره،

لا أشبهُ الجسد الذي يمتصّني كالمقبرة.

لا الرؤية انتصبت أمامي،

لا أرى، وحدي بجوف الحوتِ

يحويني بأعماق الفضاءِ

الضيّقِ الرحبِ

استوت في الحقيقة والخيال

تشدّني أفكاري الأولى

وتجذبني النهاية،

غير أنّ الوقت هاويةٌ

لجرفي رحلتي

يجتاحُ جمجمتي هديرُ الماءِ

رُغم جفافِ أزمنتني

تري الطوفانَ ذاكرتي

وتأكلُ عيني الصحراءَ فيصاً واشتعالاً

هل سيأتي يومك الموعودُ

أم أنني أسلي غُربتي

بحثًا بأنقاض الزمانِ على الطريق

إلى النشيدِ الحرِّ.

أين سفينتي؟

لا شمس في أرضي لأفرش ظلّها

لا شيء في الصحراءِ غير

عظامٍ من ماتوا هنا جوعًا.

وفي هذي المشاهدِ كِدْتُ أنسى

هاربًا منّي، فيتبعني التساؤلُ

من أنا؟

استتبعتهُ: من أنت؟

«ثُقبُ غائرٌ في رأسك المحنيّ،

كي تنصبّ منه الذكرياتُ

فتستوي شبحًا».

أشحتُ ولم أبادله اهتمامًا

فالرؤى شرعت تهبُ مجدداً.

أدركنني زمناً

ولكنني نسيثُ لم ارتحلْتُ،

الحاضرُ المشبوهُ في عيني

يضلُّ أحرفَ القيثارِ في عقبِ الحقولِ،

أكادُ أسمعُ صرخةَ الطفلِ الوليدِ مقاوماً: «لا تُرسلوني للمتاهةِ»

كان صوتُ النايِ يخفُّ

حين شقَّ الضوءُ أجفاني

وأصواتُ الصلاةِ تزيد ترتيلاً وقرباً

كان حُباً،

كان يحملني نسيماً دافئاً

ما زلتُ أذكرُه

إذا التهمتُ عظامي غربتي قلقاً ورعباً

كان مألوفاً

يشابه صوتَ ذاك النايِ

لم أسمع صداه هنا.

هل انقطعَ النشيدُ؟

أقولُ في رؤيائي:

«في أرضي سينتصرُ الغناء»

ولستُ أسمعُ غيرَ صيحاتِ المسوخِ

تُحطِّمُ الإيقاعَ في نُسْكي

كأني كنتُ حيًّا قبلَ ميلادي

وصرتُ هنا رُفَاتًا،

للزمانِ عقاربُ انهمرتُ

على ظهري سياتًا كي أفيق.

نظرتُ أبحثُ

عن بلادٍ قد أضعتُ سبيلها

عليّ الأقي في السماءِ قوافلَ

اتخذتُ نيازكها طريقًا في المتاهة،

من أكونُ بهذه الأبديةِ السوداء؟

كيف أحاط بي هذا العماء وهذه الرؤيا؟

أكانت لي حياةٌ قبلُ؟

لا أحيأ لأحيأ مرّةً أخرى هنا.

ونظرتُ ثانيةً

إلى شُهْبٍ تسيّرُ

على مياهِ الأسودِ الأبديِّ

هل هذي ثقبٌ في وعاءِ الغيبِ

تسقينأ البصيرةَ؟

أم رسائلُ من حياةِ السابقينَ لنا

تُعلّمنا المسيرةَ

لا رسائلُ في يدِ الجوزاءِ تُدرِكُنِي

حلِمْتُ، وما علِمْتُ

كأنني مزقٌ من الإنجيلِ

تحملها الرياحُ لراهبِ

لم يأتِ في ميعادهِ

حطّ النُّعاسُ على بصيرتِه

فبعثرني الخريفُ..

سُتْمِطِرُ الدنيا بلا هدفِ

لضبط السرد في سِيرِ الخليفة.

كنتُ وحدي في الخيال

أدربُ الحُلْمَ القديمَ على التدقِّقِ

عُدُّ، تخلَّفَتِ الكتائبُ، عُدُّ

سُتْسَقِطُكَ البطولةُ في غوايتها

لتنهيَ سردَها.

عبثًا ورثتُ وجوهَ أصنامي

وثأرهم القديمَ لدي

لو أنني عرفتُ هويَّتي الأولى

لسيرتُ لقاتلي، وقتلتني معه

لأرحل عن جنونِ الأرض في دورانها

عبثًا على ذاتِ الرحي نبقى

ونأكل ما يزيد من الحصى في القمحِ

تطحننا يدُ أخرى، وأيدينا

على أعناقنا فَرَعًا.

كأن البحر يضرب في الجبالِ الصُّمِّ

من أثر الفراشة في الحقول.

مشيتُ في أثر الأوائِلِ تائهاً

لا علمَ لي فيما أقولُ

كأنه لهبٌ يحركُ أحرفي

في الريحِ وهي تخطني.

ونظرتُ في بحرِ المتاهةِ غارقاً،

إن كان يمنعنا الزمان

عن الرجوعِ إلى البدايةِ

فالنهايةُ قد أعدَّتْ مُسبقاً

لكننا عُدنا، وتحملنا صلاةَ الأولينَ

إلى المدينةِ، ههنا، حيث افترقنا

نحو حلمٍ مشتهى..

للمنتهى جذعُ

وما الأغصانُ إلا ما تُشَيِّدُهُ الحكايا

من دروب السيرِ في المعنى

لنختار السبيلَ بحدسنا.

لكنني، اليوم،

الذي أختارُ كيف تكون ملحمتي

سأرسمها حروفاً في جدار الغيبِ

نحو مسيرتي، لا نردَ في لغتي

سأخلق رحلتي بيدي، امتداداً

من أساطير الأوائِلِ في الوجودِ

إلى الخلودِ، وسرّه

نجمًا تفجّرَ كي يلوَحَ

بضوئه أبد الظلامِ

ستحملُ الريحُ اللقاحَ

بلا مصادفةٍ

إلى الكونيِّ

حتى يثمر الوردُ البعيدُ

بما أريدُ

من الحضورِ المشتهى.

ومجدداً،

وأنا أسيّرُ

بما يُحاكُ من الحكايةِ

كدتُ أن أنسى،

فأدركني التساؤلُ:

من أنا؟

فأجبتُهُ: أنا ما أريدُ أنا

سأبدأ نحت وجهي

مَعُولِي رِيحٍ تَسَوِّمُ فِي يَدِي

والماءُ إزميلي.

سأزرعُ في ترابِ الروحِ

بذرة حلمي الأزلِيِّ ولتنبُثْ سماءَ من غباري.

شُكِّلَ الطينيُّ في جسدي

بنارِ الحِسِّ،

أحرقُني،

وأشعلُني مرارًا،

في استعارِي يُصهرُ الوعيَ القديمُ،

تلوّث بشوائب الوهم المحيط

عناصرُ الرؤيا، ولكنّي

سأخلقُ نفسي الأخرى بنفسِي.

سأشدّ عزمَ عنانِ ذاكرتي

وأطلقها لتحملني البصيرةُ

والحروفُ تقوّدُ حدسي.

سأحطّم الصنم الأخير

وحاضري معه، لأحيا في غدي.

«حتى تُطارِدَ فكرةَ أبديةٍ،

لا بدّ أن تنسى الخُرافةَ».

كلما هاج التساؤلُ

فاضَ إيقاعي فُتّوا واشتعالاً

حاضري يمضي

على سطر الرمال

أخط كالزلال حرفي.

إنني العنقاء

من قلب الرماد أسلّ أجنحتي

وأشعلها بجمر قصيدي

لا الأرض تحملني

ولا صدر السماء يصير سقفي.

أنا ما أريدُ أنا

لأزهرَ في المتاهةِ

لا أريد سوى الرؤى

وقصيدي الأولى

لأولدَ من جديد.

أمسكْ جماحي

أيها النورُ الأصيلُ

ودلّني سُبُلَ المسيرِ

من الهجيرِ

وما يفيضُ إلى الخلودِ.

خذني، وأطلقني، تَباعاً،

وامتحنّي، وارمني،

وامنح عصاي فَمَا لتتكى الحروفُ

وَأتني الرؤيا من الغيبِ البعيدِ.

في هذه اللغة

اختبرنا كل أنواع الكلام

وصوّرت كلّ المداركِ أعيُنُ الشعراءِ

في جسد القصيدةِ

لم نُقدّمْ نشوة الإيقاعِ قُربانًا

ولم ننسِ المكيدةَ في الحروفِ الأبجديةِ.

أغوى المجازُ سريرةَ الفنّانِ

حتى صار يُنشد للربيعِ

رسائل الأزهارِ منتشياً

وأنسته الحقيقةُ،

غير أنني لن أجولَ

حدائق الوهميِّ في لغتي

سأنسى كل إغواءٍ يجردني من الرؤيا

ويُسقطني بغيبِ الواقعيّةِ.

أنسى المكانَ وحاضري

أنسى الزمانَ وما يرسبُ في دمي

من رحلتي، ومن الملاحِمِ

في أحاديثِ الأوائلِ

وحدها لغتي سثنسييني

وتبعثني إلى المعنى

يلوحُ، وكلما ازداد احتجابًا

جئتُ ممتطيًا سرابي نحوهُ

انطلقت خطاي مبعثرًا كل القوائدِ

شاخصًا بصري إلى أفق الدلالةِ

هادئًا، كالموتِ

منتظرًا غزالتي العصيَّة.

علّ الخيال يبوح عن ذكرى

من الجبلِ البعيدِ،

بأعينِ الفرسِ التي حملت بصيرتها

وتحملني إليّ، ملامسًا

شمس الحلول السرمديّة.

فأراك،

لا ألقاك، لكّني

أراك بحدسيّ المأخوذ بالرؤيا،

أمدّ يدي إليك، ولا ألامسُ

غير دفيء في سراي النور

تسحبني يداك

إلى سكونٍ ثائرٍ

قلقي يُطمئنُ وحشتي

فأراه يأخذني إليك

ولستُ أعلمهُ،

كعصفورٍ مريضٍ في القصيدةِ

لا تُسمّيه الصفاتُ

ولا المعاني الدنيويّة.

فتجسّدي لي كي ألامسني بك،

اقتربي، أريدك بين أضلاعي عروفاً،

واحملي غسقي إلى فجرِ المتاهة،

واحمليني موجةً التكوينِ

في أبد الرحيل إلى السبيل،

أراه يأخذنا إلى نهرٍ،

إلى الصحراء، والجبلِ البعيدِ

إلى النجوم تُجيرنا من وحشةِ الوقتِ الطريدِ،

سناكِ يجذبني إلى العينِ المضيئةِ

ترسمُ امرأةً تعلّمني صلاتي بينَ نهديها،

خُذيني نحو محرابي، وآفاقي بَنَحْرِكِ

إنني حُلْمُ الطفولةِ في تذوّقِ غيمةٍ،

عطشُ العذوبةِ لا يساورني،

ولكن يعتريني دائماً ظمأُ الرحيلِ إلى المدى

فتجسّدي، وخُذي يدي،

قَمَرانِ نتبعُ نجمةً في الغيبِ،

حقاً لم يكنْ هذا الرحيقُ مقدّساً لولا الفراشةِ،

لم يكنْ تمّوزُ يولّدُ من جديدٍ وردةً لولا إنانا،

لم يكن شعراً هنا لو لم تكوني.

ومجدداً،

وأنا أطوف بما يُقال وما يُؤوّل

إذ نسيت الوهمَ في المنفى،

وأدركتُ التساؤلَ

كي أصحّ زلّةً لغويّةً: أنا حارسُ البئرِ السماويّ/

الكنايّة في قميصِ الطّفلِ/

سنبلّةُ أضاءت في الظلامِ/

الساهرونَ على أزيزِ البردِ/

صرعى الانتظارِ/

أنا بذورُ النرجسية في عيونِ النّهرِ

أزهرُ في السماءِ سحابةً

والآن أدركني وأدركُ موسمي

رؤياي تحمّلُ حاضري لِعدي

وثرثدني الحقيقة في الطريقِ

عرفتها، وعرفتُ نفسيّ

كُلِّمًا أُدْرِكْتُ إِيقَاعِي وَأُزْمِنْتِي الْبَعِيدَةَ،

لِلْقَصِيدَةِ نَجْمَةً تَقَبَّتْ جَبِينِ اللَّيْلِ

لِكُنِّي سَأْمَنُحُهَا حُضُورًا بَيْنَ أَوْتَارِ السَّنَائِلِ

تَحْمَلُ اللَّحْنَ انْتِصَارًا لِلصِّدْقِ

أَنَا عَازِفُ الْحَرْفِ الْعَصِيِّ عَلَى الْقَوَافِي

لِي هُنَا لُغَةُ الْهَوَاءِ الدَّافِي الصِّفِيِّ

تَرْسُمُنِي جَنَاحًا لَاحَ فِي أَفْقِ الْقَصِيدِ

أَنَا صَلَاةُ الْعَائِدِينَ مِنَ الْحُرُوبِ

وَلَمْ يَحَالِفُهُمْ خَلَاصٌ

كَالْوِلَادَةِ مِنْ فِمْ الْغَيْبِيِّ

سَعِيًّا فِي تَحْدِي الْوَاقِعِيِّ وَبُؤْسِهِ

أَنْزَلْتُ عَشْتَارَ الْفَضِيلَةِ

مِنْ سَمَائِي، كِي تَبَشِّرَ بِالْحَصَادِ

وَحِينَهَا صَارَتْ كِنَايَاتِي سَمَاءً لِلرُّؤْيِ

كَانَتْ صَلَاتِي كُلِّهَا عِذْرَاءَ

تَرْسَمُ وَجْهَهَا بَدَمَ الْخَطِيئَةِ

علّقثني في البداياتِ الملائكُ

فوق نبعِ الشّهوةِ الأزليّ من قدمي

لتغمسني بها، كأخيلَ طفلاً في البحيرة.

فانجرفتُ بمائها

وأخذتُ نشوتها بعيداً

نحو جنّتها لإدراكِ الحقيقةِ

أقبلتُ في زهوها الدنيا

وقالت: «هيت لك».

وهنا اختلى إيقاعنا الشعريّ

بين شفاهنا والمفرداتِ

وراح يحملُ لحن قافيتي ويرقصُ في الفلكِ.

لكن حُرّاسِ العزیزِ يُراقبونَ

ويدفعونَ الأرضَ عن قلقي

يكادُ يهزُ أعمدةَ السماواتِ الرتيبةِ.

كيف أنسى الوقتَ؟

وانتعلتُ خطاي الرّيحَ نحو ملذّتي

في كل شيء جانبٌ حلوٌ

وفي نسيانٍ نفسي مرتعٌ حلوٌ

وفي الآلام إن فاقت مرارتها احتمال

الكائن البشريّ طعمٌ حلوٌ

اتَّفقتْ غواية كل شيءٍ ضد بؤسي

غير أن الواجب الأزليّ

ظل محمّماً بين الضلوعِ

إذا نسيّت الحزنَ لم تفرّحْ

بنشوتك الأخيرة

والسياط يسوقها وقتي على ظهري

لتنتبه الحكاية للتفاصيل الصغيرة

للخطيئة دربها نحو الفضيلة

فانغمس في مائها

لكن تذكّر أنّ في إغوائها شركٌ

إلى الديمومة العبثية،

استبدل فتور الدفءِ

بالنار الحميمة فيك

وامض إلى الرؤى

فالشكر لا يروي

ولكن زادني شوقاً للمس المنتهى.

من أين يدركك الطريق

ولا رياح تحرك الغيم المحيط

أمام ضوء الشمس

يا رؤيا، أضيئي في فمي المعنى

ير الدرب الدليل

وتزهري الكلمات في وتر السنابل

أدركي الإيقاع

أدرك من أنا.

فتجسدت رؤياي كامرأة

تعلمني صلاتي بين نهديها.

ألفت ملامحي،

وألفت في عينيك وجه الله،

لستُ هنا غريبًا

هل عرفتُكِ قبل ميعاد الولادةِ

وانفقتنا للقاءِ؟

فلا تزالُ تراكِ ذاكرتي

زمانًا سابقًا ومؤجلًا

لكنِّكِ القَدْرُ الذي كشفَ الحِجابَ أمامَ عيني

لا أرى إلَّاكِ في المنفى احتواءً،

أفصحي من أنتِ، أفصحِ من أنا.

«كنتُ فيَّ، وكنتُ بكِ،

البدءُ في نفسنا واحدٌ

ونهايةُ رحلتنا واحدة.

الطريقُ هو اللغزُ

فاختر طريقك بالحبِّ

تُدركِ حقيقتك الخالدة.

هو المبتدا حين لم يكُ شيئًا،

هو الزمن اللانهائيُّ

فَاتَّبَعُهُ تُمْسِكُ عَنَانَ الْمَسِيرَةِ،

أُبْحِرْ عَلَى نورهِ،

خِذْ يَدِي لِتَرَى الْمُنْتَهَى

حَاضِرًا فِي الْقَصِيدَةِ

كِي تَتَجَلَّى بِكَ الرُّوحُ دَفْأَةً آسِرَةً.

إِنَّمَا الْحَبُّ ثَقْبٌ،

تَسِيلُ الْحَقِيقَةَ مِنْهُ

وَمِنْ جَدْوَلِ الْغَيْبِ فِي الذَّاكِرَةِ.

إِنَّهُ أَلَمٌ، وَشِفَاءٌ

حُضُورٌ، عَلَى أَهْبَةِ الْإِنْسِحَابِ

الْيَقِينُ بِصُورَتِهِ لِلْسِرَابِ

اِحْتِجَابٌ بِذُرُوتِهِ الْحَاضِرَةِ.

هُوَ مِرَاةٌ نَرْسِيَسَ / رُوحَ الْمَسِيحِ /

تَسَاوُلُ طَالِيَسَ /

قَدْسِيَّةُ النَّارِ فِي لَيْلِ مُوسَى،

هُوَ الْكَلِمَةُ.

فاحتضنه، وأشرع لروحك آفاقه،

ولتسير، قمران نراقص نجماً

نعيد النهاية نحو البداية

نسرق برقاً من الغيب

نشعل منه متاهتنا المظلمة».

قالت، وحين تجسدت رؤياي

أشرق في الحديث جبينها

فعرفتها، وعرفتني معها

وأدركت السبيل

عرفت شكل المنتهى ومكانه،

واللغز يكمن في المسير

وما الخلود سوى الطريقة للنهاية

أرشديني للنشيد

أخذي يدي، قمران نتبع نجمة في الغيب.

قد أوحى إلي الله فيك أن اتبع القبس

المطل على الوجود

فكُنْتِ أَنْتِ نَبِيَّتِي، وَأَنَا اصْطَفَيْتُكَ

وَاصْطَفَيْتَنِي الرَّوْحُ فِيكَ

لَكِي أَكُونُ لَهَا الصَّدَى

وَأَنَا الْمُحِبُّ وَأَيْتِي هَذِي الْقَصِيدَةُ

مَنْذُ بَدْءِ الْخَلْقِ تَكْتُبُنِي

نَزِيحًا مِنْ دَمَوِعِ الْحَالِمِينَ

وَسِيرَةً لِلْعَاشِقِينَ

أَنَا نَشِيدُ الضَّوءِ

يَصْدُخُ فِي عَيُونِ الثَّائِرِينَ

أَنَا اخْضِرَارُ الْحَقْلِ فِي نَيْسَانَ،

جَرْحُ فِي الرَّصِيفِ انْشَقَّ ثَغْرًا

لَاثِمًا وَجْهَ الشَّهِيدِ، أَنَا الْغَرِيبُ،

أَتَيْتُ لِلدُّنْيَا وَمُرْتَحَلِي قَرِيبُ

تَارِكًا شَعْرِي خُلُودًا

فِيهِ أَنْتِ قَصِيدَتِي، وَأَنَا الْحَبِيبُ.

مَنْذُ احْتَمَلْتُ الْبَرْدَ عَنْ أَكْتِافِ مِنْ رَاحُوا

وأجمعُ خبز من لم يلقهم حظ الخلاص

وبؤسهم يزداد جوعاً

صرتُ أغزلُ من خيوط الريح

سجّاداً يزيّن دربنا نحو المتاريس

اجتمعنا كل ليلٍ كي نرى الفجر الأخير

ونوره يدوي ويشعلُ ما يصيبُ.

كمقاتلٍ ملّ انتصارات الحروبِ

وعاد يطلب هدنةً أبديةً

من غيبه المكتوبِ بالدمِّ والدموعِ

أريدُ أزمّنتي وجنتي الأخيرة

أسعفيني للقاءِ على القصيدة،

شُرفةً تضيءُ على الغدِ طابعَ الأزلِ

وحدّثنا، وبينها المحبُّ بما يطيبُ.

أرواحنا تزدادُ توقاً

كلّما حالت خُطانا دون واقعنا

ويحملنا الحنينُ

كعطرِ نيسانِ المتوجِّجِ

فوقِ عرشِ الريحِ

قولي للحقولِ لنا هنا أجلُّ،

لنا غدُّنا وموسمُنا الخصيبُّ.

إنَّ اللقاءَ هنا قريبُّ.

كحنينِ أمِّ للوليدِ

كقُربِ ساقيةٍ لأوردةِ النخيلِ

كجدولِ التكوينِ موعدا

تفجَّرَ مُذْ خُلِقْنَا هادِرًا

لا يستكينُّ،

ولا تؤخره الخطوبُّ.

متدفِّقًا كالموجِ،

قد يبدو ويأفلُ قُربِ شاطئِهِ

ولكن لا يغيبُّ.

إنَّ اللقاءَ هنا قريبُّ.

مهما ترينَ ولا ترينَ

من المدى إلا الظلامَ

يلوحُ نجمٌ من منارتهِ

يبشرنا بقرب مآلهِ

فخُذي، كماءِ الروحِ

من عينِ المحبِّ إذا انتشى،

حُلمي، وفي الأفقِ انثريهِ

فراشةٌ في الحقلِ ترقُصُ

من حنايا الضوءِ

وانطلقِي معي

نتلو صلاةَ العاشقينَ معًا

ويسمعُنا المُجيبُ.

إن اللقاءَ هنا قريبُ.

«أسعِفِ الغدَ كي يتسنى لنا البدءُ

نولدُ ثانيةً فوق أنقاضِ

ما فاتت من وقتنا العبثيِّ

اللقاءِ يُجِبُّ ما قبله من غيابِ

فمُدَّ لي الروحَ

تطوِّ المكانَ على وقتِه

أنتَ حلمٌ

على الوردِ أن يستجيبَ لهُ

وعلى الرِّيحِ أن تنثرَ العِطرَ

كي تستريحَ المسافَةُ،

إبانَ غفوتِها نسرُقُ الوقتَ من يديها،

وعليَّ -لأحياءِ- تحقيقُ موعِدنا،

كي أحققَ أحلامنا التاليةَ.

ولأرواكِ أسرُقُ منك اتِّقادي

تجتاحني قوَّةُ لأجابهِ بؤسِ الحياةِ،

وأجتاحَ روحكِ ذاكرةً

للبدائيةِ من شمسها العاليةِ.»

رؤيايَ أنتِ،

وفي السماءِ لنا مساحتنا

لنرقصَ للنشيدِ

فراشتان تُسابقانِ الوردَ،

ترسمني وأرسمها،

لنا أفقٌ من الأمواج تدفع بعضها بعضًا

ستحملنا، ونحملها، ونحمل بعضها

لحياتنا الأخرى

صدى في الروح يجذبنا

ويمتحنُ اشتعال الماء في يدنا

نُكوّنُ أبسط الآيات تعقيدًا

كأن الروح واحدة

وأحيث كل نفس نفسها

وتجاوزت أرواحنا ميعادها الأرضي

أدركننا اللقاء، وأدركننا

نحو جنتنا الدروب.

قمرانٍ نتبعُ جنّة

أسقيك من لحن القصيدة سُكرها

ومن الحقيقة في مرايا الله

في عينيكِ تسقيني الخلودَ

وفي يدي قبسُ اتقادِكِ

قربيني منكِ يا رؤياي

ولتلمسُ يدانا وردها

حتى تعود إليَّ أزهار الربيعِ

هنا يعود النَّهر ضوءًا

والرياحُ حمامةً

عيناكِ ضوءٌ طلَّ من قبسِ الإله

أرى بإحداها بدايتنا

وفي الأخرى الخلودَ

فعانقي عينيَّ

ينكشِفُ الحجابُ

ونرتقِ المعراجَ نحملنا،

وتحرُسنا الملائكُ،

لي حياةٌ فيكِ كاملةٌ،

لنا فلكٌ يدور إذا انتبهنا للحضورِ

وَأَمْسَكَتْ رَسْنِيهِ قَبْضَتُنَا

لِنَذْهَبَ حَيْثُ كُنَّا قَبْلَ مَوْلِدِنَا

لِنَذْهَبَ حَيْثُ صَرْنَا بَعْدَ مَوْعِدِنَا

تَجَلُّ بِنَا السَّمَاءُ

تُحِيلُنَا عَرْشًا عَلَى مَاءٍ

عَلَيْهِ حَقِيقَةُ الْفَانِينَ وَالْأَبْدِيِّ /

صَوْمَعَةً بِهَا صَلَوَاتُ كُلِّ الْقَانِتِينَ.

كِنَارِ إِبْرَاهِيمَ تَجْتَاحِينَ جَسْمِي

وَمِضَّةً تُحْيِي،

وَتَبْعُثُ أَضْلَعِي

أُوتَارِ قَيْثَارِ

يِرَاقِصُ كَقَلِّ الْمُبْتَلِّ فِي كَتْفِي

أَهِيمُ بِكَ انْتِشَارًا وَاتِحَادًا

نُشْرَعُ الصَّلَوَاتِ لِلتَّكْوِينِ فِي قُدْسِ التَّجَلِّي

تُقْبَلِينَ / تُقْبَلِينِي / أَصْطَلِي نَارًا / أَذُوبُ / أَنْوِبُ / أَصْهَرُ /

تحضنين تدفقي / أدنو/ أقبل ثغرك / امتزجت بنا الروح الصهيرة/أحتويك/وتحتوين الشوق
في قلبي،

فُتْلِقُهُ لِيَسْبِحَ بَيْنَنَا

إِذْ يَعْصِفُ الْجَسَدَانِ مِتْحَدَانِ

كَالْبُرْكَانِ

يَعْلَنُ عَنِ وِلَادَةِ جَنَّةٍ.

فَلنْتَحِدْ، حَتَّى تُمَثِّلَنَا الْأُلُوهَةَ

نَعْرِفُ الرَّؤْيَا مِنَ الْوَعْيِ الْقَدِيمِ

وَنَلْمَسُ الْمُثَلَّ الْعَصِيَّةَ

فِي انْتِقَادِ الْحُبِّ نَصَبِ مَا نَشَاءُ

فِرَاشَةً تَخْتَارُ وَجْهَتَهَا بِمَحْضِ سَمَائِهَا

فَلنْتَحِدْ، أَبَدًا، وَنَخْلُقُ نَفْسَنَا،

مِتْدَفِّقِينَ نَبْعَثِرُ الْأَكْوَانَ نَنْثَرُهَا سُدى.

نَعْدُو/ نَسِيلُ / نَعِيدُ لِحَمْتِنَا/

نُضِيءُ بِمَاءِ شَهْوَتِنَا

وَنَشْعِلُ فِرْقَدًا.

شفتاي أغرسها صلاةً من مجبٍ

يقراً التسبيح في محرابٍ نحرِكِ

وابتهالاتي بذارُ حقول جنتنا

سيزرعها فمي قُبلاً هنا

وأقول للأفق المسجى بين نهديك: اتخذتكَ مسجداً.

يا حُبِّ

يا أصلَ الخليفةِ

يا عذابِ العذبِ

قد جئناك نزهدُ كل دنيانا

ونحملُ حاضرينا بين أضلعنا

فأورثنا الغداً.

كن عادِلاً،

كن أنتَ

وامنحنا الشفاعةَ

من شقاءِ الحاضرِ العبثيِّ،

يا حُبِّ امتحِننا، واعفُ عنّا في تأخرنا

وأطلقنا شعاعًا يستنيرُ به المدى.

جسدٌ وحيدٌ واحدٌ صرنا

وأضلُّعنا تماهتْ

قبضةٌ زُمتْ كأن رحيقها

زيتٌ يضيءُ على العماءِ

لمشهدِ التكوينِ،

لوحٌ يكتبُ الذكرى ويلتهم السكونَ،

تفجرتْ آفاقنا خلقًا

فقال الله في الروحِ التي عرَّجت إليه

الحُبِّ كان، وكان من روعي،

وفي روعي سيبقى سزَمَدًا...

1. الغلاف
2. تَمَّوْزُ يَوْلَدُ
3. الإهداء
4. تَمَّوْزُ يَوْلَدُ